٢ ـ المسرح المصرى
وكيف نشيده على دعائم ثابتة
للأســـتاذ دريني خشبة

بينا فى الكلمة السابقة ما ينبغى توفيره لجميع رجال المسرح من الكرامتين المادية والمعنوية ، وبينا نصيب كل من وزارتى المعارف والشئون من مهمة إنهاض المسرح المصرى وموالاة العناية به حتى يقوى عوده ويشتد ساعده ؛ لأنه بذلك يكفل لنا نهضة اجتماعية ونهضة إصلاحية ونهضة فى اللغة ونهضة فى الأدب ونهضة فى الأمن ونهضة فى الذوق العام ونهضة فى جميع فروع الحياة المصرية ، بل نهضة الأمم العربية قاطبة فى كل فروع حياتها

وبينا كذلك ما يجب على بلديات المدن المصرية جميعاً أن تساهم به فى هذا السبيل ، وما يجب أن يفهمه أعضاء تلك البلديات من أن مهمتهم لا تقف قط عند حدود مراعاة النظافة فى مدنهم وتجميل شوارعها ، وغرس الأشجار على جوانب الطرقات ، وما إلى ذلك من عمليات الكنس والرش والإضاءة وتوفير المياه المرشحة وإنشاء المجارى ... كلا ... إن مهمة أعضاء البلديات لا تقف قط عند حدود هـذا الجهاد الأصغر ، كما قال مرة أحد مشجعى النهضة المسرحية فى ألمانية ... بل إنها تتعدى تلك الحدود إلى جهاد أكبر يفوقها قيمة وجدوى ... ذلك هو العمل على رفع مستوى الشعب وحياته الاجتماعية ... فيجب ألا يقتصر الكنس على شوارع المدينة وحاراتهـا ، بل ينبغى أن يتناول القاذورات المختبئة فى نفوس الأفراد أيضاً ... وإذا نجحنا فى إزالة هذه القاذورات استطعنا أن نضاعف نظافة المدينة وأن نزيد فى جمالها ورونقها ... والحمد لله ، فلقد تنبهت بلديات كثيرة مصرية إلى واجبها نحو الثقافة العامة ، فأنشأت دور الكتب والمسارح التى اقتصرت إلى الآن على عرض الصور المتحركة ، فلتكن هذه باكورة نهضة مسرحية إقليمية نحكي بها ما قام فى انجلترا من المسارح المتنقلة ، الـ circuits ، ومسارح المدن الخاصة التى سمينا الكثير منها فى الفصول السابقة عن المسرح فى أوربا

فإذا وُجد المسرح المصرى على هذا النحو ، فلا مندوحة من أن يبدأ حياته على صورة ما من صور مسارح الستودعات ، وذلك إلى أن توجد الدرامة المصرية الحقة التى يمكن أن تأخذ مكانها بين الدرامات العالمية المثالية ، والتى نستطيع إخراجها على صورة تمثل مصريتنا تمثيلاً صادقاً لا بهرج فيه ولا تهريج

ولما كانت مسارح المستودعات الـ Prepertory تعنى بتمثيل الدرامات العالمية ـ أو الوطنية ـ التى سبق تمثيلها قبل عنايتها بإخراج روايات جديدة فسيواجه مسرحنا مشكلة نقـل طائفة كبيرة من أشهر الدرامات الأجنبية إلى اللغة العربية ... وقد عرضنا فى كلمة سابقة لهذه المشكلة وأثبتنا تقصير الهيئات جميعاً فى معالجتها ... ونحن ما نزال عند الذى قلناه فى هذا الصدد ، ولن يضيرنا أن ينقم علينا من ينقم ما دمنا نقول الحق وننشد الخير ... فالدولة ـ ممثلة فى وزارة المعارف ـ لم تتناول بعد مشكلة الترجمة بما ينبغى لها من عناية ورعاية ... وتقصير الدولة فى ذلك يؤخر نهضتنا ويقعد بها ويؤذيها ، كما يؤخر الأدب واللغة ويقعد بهما ويؤذيهما ... وإن تأخرت نهضتنا وتأخر أدبنا ولغتنا تأخرت عجلة الحياة فى مصر بل فى الشرق العربى عامة

إنه لا بد من حركة ترجمة واسعة شاملة للأدب الأوربى بوجه عام ، وللآداب المسرحية بوجه خاص ... يجب أن تتصل نهضتنا بأقطاب الفكر العالمى عن طريق ترجمات عربية قوية لروائعهم التى تمد مكتبتنا بثروة ليست بعدها ثروة ، فيجد شبابنا ما يثقف به نفسه من ذلك الغـذاء الروحى العظيم الذى سيظل محروماً منه ما دام محبوساً عن لغتنا ... يجب أن تعرف الكتبة العربية جميع روائع شكسبير ومارلو وبن جونسون وتشابمان وشريدان وكونجريف وبارى وشو وجولدورثى وويلد وبارکر وماسفيلد وسينج وبيتس وروبنسن وغيرهم من أساطين الدرامة الإنجليزية

يجب أن تعرف الكتبة العربية جميع الطُّرف السامية التى أنتجتها قرائح آلهة المسرح الفرنسى من أمثال : موليير وراسين وهاردى وكورنيى وچان روترو وكوينولت وكريبلون وهوجو وسكريب وروستان

إلى متى تحرم الكتبة العربية من درامات المسرحيين الأسبان

أمثال : ناهارو ، ولوب دى رودا ، ودى أرجنسولا ، وما أبقت عليه يد العفاء من درامات سرفنتس ، ثم لوب دى فيجا العظيم الذى يؤثر أنه أدب للمسرح ألفاً وثمانمائة درامة بقى منها أكثر من أربعمائة إلى يومنا هذا ، ثم تروسو دى مولينا ، وكالدرون ، وألاركون ، وزورللا ، ودى جويفارا ، ودى موراتان ، وتامايو ، وجوسى إشجارى ، وبلايو ، وبلاسكو إبانى Ibanez

ومتى يستطيع القارىء العربى أو المسرح العربى الاستمتاع بدرامات المسرحيين الإيطاليين أمثال : ترسّينو ، تاسو ، أريوستو ، مكياڤللى ، جواريني ، ماڤى ، زينو ، ألفيرى ، جولدونى ، كارلو جوزّى ، متاستاسيو ، مونتى ، فوسكولو ، مانزونى ، نيكولينى ، كوسّا ، دانتزيو وپيراندللو ؟

ولنذهب فى برقشة مقالنا بأسماء المؤلفين المسرحيين فى الأمم المختلفة إلى حد الملالة ، فنذكر والحسرة تملأ جوانحنا أن المكتبة العربية محرومة من ترجمات لدرامات النوابغ الجرمانيين : يعقوب ومفلنج ، سلنس ، كرشماير ، لسنج ، ويس ، إشنبرج ، جوته ، كلنجر ، ملر ، شلر ، كورنر ، شليجل ، جرلپارزر ، هيل ، جراب ، موسن ، لدفج ، هالم ، رايموند ، لوب ، أنزنجروبر ، سودرمان ، هرشفلد ، ويلدنبروخ ، هوپتمان ؛ كما أنها محرومة حتى من نموذج واحد من الدرامات التعبيرية التى وضعها جورج قيصر ، وأرنست تُلر ، وسترنهايم ، ويولنبرج ، وهاردن ، وپول إرنست ، وفرانز ورفل

وماذا نقل إلى اللغة العربية من درامات المسرحيين الهولنديين هامسُن ، وشمل ، ونوهايز ، ودى كو ، وهايرمانز ، وسيموتز ميز ، وألفونس لودى ؟

وماذا تعرف العربية من درامات هولبرج ، وإبسن ، وهيبرج ، وڤجار ، وبراتمان ، وهانز كنك النرويجيين ؟

وهل تعرف المكتبة العربية درامات بلانشن ، وسترند برج السويديين ؟

وهلْ تعرف مكتبتنا الدّراميين الروس مايا كوفسكى ، وترتيا كوف ، وليولنتس

وهل نقل إلينا شىء من درامات المتشكيين لتوفيك ، ودڤوراك ، وفشر ، وكارل كاپك الذى مثلت جميع دراماته فى جميع مسارح العالم ؟

وبعد :

فلقد تعمدت أن أسلم القارئ العربى لهذا التيه المضل من أسماء كتاب الدرامة وشعرائها ليعلم إلى أى حد نحن محرومون من هذه الثروة الذهنية الهائلة التى ينعم بها أهل اللغات الأخرى لأنها مترجمة إليها ... وأننا محرومون منها بسبب إهمال وزارة المعارف وتكاسل الجامعة وكبار الأدباء الذين لا يجدون تشجيعاً ولا حافزاً

لقد أهملت مئات من كتاب الدرامة فلم أذكرهم لأنهم ممن كتبوا أقل من عشر روايات ... ومع ذلك فقد ذكرت أشهر المكثرين فقط ، ولو أراد أحد سرد أسمائهم جميعاً لضاق بهم نطاق أعداد عديدة من هذه المجلة ... وكنت أوشك أن أسرد عشرات من كتاب الدرامة اليابانية التى لا تقل رونقاً عن الدرامة الأوربية ، إلا أنى حسبت حساب تلك الابتسامات العريضة المتورمة التى تؤول ما أردت من ذكرها أسوأ تأويل ... ولهذا أيضاً غضضت الطرف عن أبطال الدرامة الأمريكية فى كل ممالكها

إن فى عالم الأدب دنيا بأكملها من الدرامة الراقية واكبتْ كل عصور التاريخ ... فمتى تكوّن لنا درامة عربية ياترى ؟! وكيف تكون لنا درامة عربية ونحن لم ننقل مائة أو مائتين من عشرات آلاف الدرامات العالمية لينسج كتابنا على منوالها ، وليكب شبابنا على قراءتها فتترك فى قرائحهم خمائر التفكير اللازمة للانتاج الذى نطمع به ونفكر فيه ، ثم هى تعلمهم كيف يقسمون فكرة الرواية إلى فصول ، وكيف يقسمون الفصول إلى مناظر ، وكيف يمهدون للمفاجئات ، وكيف يسلسلون الحوار ... ثم كيف يخلقون لنا درامة مصرية تعالج مشكلاتنا وتتناول قضايانا وتسلك أدبنا فى موكب الآداب العالمية الراقية التى يمثلها الأدب المسرحى أحسن تمثيل وأصدقه

إلى متى ياترى يظل أدبنا يباباً فارغاً هكذا ؟

على رسلك أيها القارىء الذى يظن بى الظن ، فأنا لا أقل

هنك غَيْرةً على الأدب العربي ، وبالأحرى على الأدب المصري ؟ وأنا أقدر لفتي العربية بل أقدسها ، لكني مع ذلك أعترف بأن الأدب العربي سيظل وسوف يظل وراء الآداب العالمية قاطبة ، ما لم نسلك فيه الأدب المسرحي وآداباً أخرى غير الأدب المسرحي ليس هنا مقام ذكرها . . . والسبيل إلى أن نسلك في أدبنا هذه الألوان من الأدب لا بد أن نبدأ بالترجمة ... لنترجم عن أدباء انجلترا وإيرلندة وفرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا وأسبانيا والسويد والنرويج وتشكوسلوفاكيا وبولندة وروسيا وأمريكا . وعن أدباء اليابان والصين إن وجدنا إلى الترجمة عنهم من سبيل لنترجم عن هؤلاء وهؤلاء ، فلقد أصبح لكل أمة أدب قومي مستقل كما أصبح لكل أمة مسرح قومي مستقل ... إلا مصر وإلا الشعوب العربية قاطبة ، فأدبها ما يزال أدب تراجم وقصائد ومقالات . . . وإن شذا من القصة نصيباً ضئيلاً لا غناء فيه بعد .

وما دامت الترجمة هي السبيل الوحيدة الآن أمامنا لنخدم أدبنا المصري وأدبنا العربي ولنخدم مسرحنا ولنخدم لغتنا ، فماذا يقعدنا عن التوسع فيها توسعاً لا نبخل عليه بجهد أو مال ، ولا يصح أن نبخل عليه بجهد أو مال ، وإلا أثبتنا أننا أمة من الأميين ... ممن يفكرون كثيراً وينفذون قليلاً ... بل لا ينفذون شيئاً

كيف يستكثر علينا مستكثر أن نصرخ في آذان وزارة المعارف لكي تقوم بواجبها في هذه السبيل فتولي عنايتها إدارة الترجمة بها وتشجع المترجمين بالمبالغ الضخمة التي تحفزهم وتشحذ هممهم

لماذا لا ترفع عدد المترجمين الفنيين إلى مائة أو مائتين بدل هذا العدد الذي لم يرتفع إلى عشرة بعد ؟

لماذا لا يتنوع المترجمون فينقلون من الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية واليونانية القديمة ومن اللاتينية والروسية ؟

لماذا لا ترصد المبالغ الضخمة لهذه الإدارة التي لا تقل فائدتها للبلاد واللغة والأدب والعلم عن الجامعة ولا عن مجمع اللغة ولا عن مصلحة الآثار ؟

ومتى يتاح لوزارة المعارف عصر كهذا العصر الديمقراطي الذي يعنى بصالح الأمة فيهيىء لأدبها ولغتها هذا الإصلاح ؟

ومتى يتاح لوزارة المعارف رجلان كالرجلين اللذين يرسمان سياستها ويقودان سفينتها ، فتكون فرصة إدارة الترجمة ، وفرصة الأدب العربي ، وفرصة اللغة ، وفرصة المسرح ، وكل فرص الحياة الثقافية العامة في وجودها ، ولتعز إدارة الترجمة ، وليعز الأدب العربي ، ولتعز اللغة العربية ، وليعز المسرح المصري ورجاله الشهداء الأوفياء ؟!

... ليقل جاهل أو غبي كما قال من قبل ، إن هذا كلام له ما وراءه ... لا ... فنحن بحمد الله مستعدون للارتداد إلى خطوطنا الأولى ... ولذلك فإنا لا نبالي بأن نلاحظ على وزارة المعارف تقصيرها في العمل للنهضة الثقافية بمصر ، بالرغم مما هيىء لها من زعامة أدبية خالصة كانت لمصر فيها آمال كبار ؛ وما تزال لها فيها تلك الآمال الكبار . وإنا لن نمل من الكتابة في هذا والتبشير به والإلحاح فيه ، حتى تبلغ منه نهضتنا ما تريد

على أن التفكير في إنشاء معاهد كثيرة للتمثيل ، لا بد أن يسبقه تفكير في نقل عدد كبير من الدرامات الأجنبية الرائعة لأشهر الكتاب الدراميين كي تجد المعاهد ثروتها من الروايات التي تتخذ نماذج لتطبيق دراساتها كما تجدها مهيأة للتمثيل ... وإلا فهل نحن ملتزمون أن تكون الدراسة في تلك المعاهد بالعربية ثم يكون التطبيق العملي بلغة أجنبية ؟

وإذا نحن سلمنا بهذا ونقلنا عدداً كبيراً من الدرامات الأجنبية ، لزم أن نلخص تاريخاً عاماً للمسرح في الممالك المختلفة ليلم الممثلون بتاريخ المؤلفين وتاريخ التطور المسرحي في كل منها . والقيام بعمل هذا الملخص لتاريخ المسرح يصح أن يوكل لهيئة من المترجمين ، أو أن يكون قسمة بين إدارة الترجمة ومدرسي معاهد التمثيل .

(ينبع) محمد فتحي